

تقوى ﷻ .. أساس وحدة المسلمين



يقول ﷻ تعالى في كتابه المجيد: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلِتَكُونُوا مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 102-104).

يدعو ﷻ سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة المسلمين جميعاً إلى أن يفكروا بالتقوى بكل درجاتها ومواقعها، وذلك بأن يجعل المؤمن ﷻ نصب عينيه فيكون ﷻ تعالى عقلاً في عقله فلا يحررك عقله إلا بما يرضي ﷻ، لأن ﷻ يراقب الإنسان في حركة عقله كيف يحرركه في نفع الناس أو في الإضرار بهم، لأن بعض الناس.

على الإنسان أن يتقي ﷻ في نبضات قلبه، أن يحب مَن يحبه ﷻ ويبغض مَن يبغضه ﷻ، أن لا تكون محبته لمن يبغضه ﷻ، وأن لا تكون بغضاؤه لمن يحبه ﷻ، وقد ورد في الحديث: «إذا أردت أن تعرف نفسك فانظر قلبك، فإن كان قلبك يوالي أولياء ﷻ ويعادي أعداء ﷻ ففبك خير وﷻ يحبك، وإن كان قلبك يوالي أعداء ﷻ ويعادي أولياء ﷻ فليس فبك خير وﷻ يبغضك، والمرء مع مَن أحب». وقد ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام): «وهل الدين إلا الحب»، يُعرف دينك من خلال مَن تحب وما تحب.

ولابد أن تتقي ﷻ وتراقبه في كل قول وفعل ومعاملة وعلاقة وموقف، وهذا هو معنى (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ)، كما يجب وينبغي أن يتقى، وقد ورد في الحديث: «خف ﷻ كأنك تراه – بحيث تستشعر إن ﷻ أمامك وأنت تعصيه، ألا تخاف منه؟ – فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك»، وهو يراقبك

ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فلا يكن الّا أهون الناظرين إليك. المطلوب أن تستمر هذه التقوى، ولتكن كل حياتك إسلاماً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَآلَآئِن تَمُوتُمْ مُسْلِمُونَ)، فعليك أن تحافظ على إسلامك أكثر مما تحافظ على مالك لأن الإسلام يمثل المصير.

ثم يؤكد الّا تعالى على الوحدة بين المسلمين، في قوله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)، وحبل الّا هو القرآن والإسلام، والاعتصام بكتاب الّا أن نتمسك بكل مفاهيمه العقيدية والشرعية والحياتية، بحيث لا يتحرك الإنسان في أي فكر أو خطأ إلا إذا وجد ذلك في كتاب الّا، فاجتمعوا جميعاً على حبل الّا (وَلَا تَفَرَّقُوا) بأن يتخذ كل واحد منكم مذهباً غير ما يتخذه الآخر من مذهب، وتفرقوا على كتاب الّا وسنة رسول الّا، بل عليكم أن تتوحدوا بهما. وقد أكد الّا هذه الوحدة الإيمانية على الرسول لأن الرسائل واحدة وإن اختلفت في بعض التفاصيل، وقد خاطب الّا تعالى الرسول كلاًهم منذ عهد آدم (عليه السلام) إلى عهد النبي محمد (صلى الّا عليه وآله وسلم): (وَإِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ - وَلكن أتباعهم لم يلتزموا بذلك - فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونِ) (المؤمنون/ 52-53). (وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً) وهذا كان في عهد الدعوة الأولى عندما كان أهل المدينة متفرقين بين عشيرتي الأوس والخزرج (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) - عندما دخل الإسلام إلى قلوبكم تألفتهم - (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) لأن الّا تعالى عقد الأخوة بين المسلمين وحمّلهم مسؤولية إصلاح ذات البين إذا اختلفوا فيما بينهم: (إِنَّمَا اللَّهُمُّؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (الحجرات/ 10)، (وَكَُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ - من خلال الكفر الذي يؤدي بكم إلى السقوط والنزاع والاختلاف - فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران/ 103).